مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ٦: ١٦–١٨؛ ٧: ١)

يا إخوةُ أنتم هيكَلُ اللهِ الحيِّ كما قال اللهُ إنّي سأسكُنُ فيهم وأسيرُ فيما بينهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونونَ لي شعباً* فلذلك اخرُجوا من بينِهم واعتَزِلوا يقولُ الربُّ ولا تمَسُّوا نَجِساً* فأقبَلُكم وأكونُ لكم أباً وتكونونَ أنتم لي بنينَ وبناتٍ يقولُ الربُّ القدير* وإذ لنا هذه المواعِدُ أيُّها الأحبَّاءُ فلنُطهِّرْ أنفُسَنا من كلِّ أدناسِ الجسَدِ والروحِ ونكمِّلِ القداسةَ بمخافةِ الله.

الإنجيل

(لوقا ٦: ٣١–٣٦)

قال الربُّ كما تريدونَ أن يفعلَ الناسُ بكم كذلك افعلوا أنتم بهم* فإنَّكم إنْ أحببتُم الذين يُحبُّونَكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُحبُّون الذين

الرحمة

«فكونوا رُحَمَاءَ كما أنَّ أباكُم أيضاً رحيمٌ» (لو ٦: ٣٦)، بهذه الآية ينتهي المقطع الإنجيلي الذي نقرأه في هذا اليوم وهي تأتي كتتويج لكل ما سبقها من آيات لأنها تختصر كل الطرق التي طلب منا الرب استخدامها في علاقاتنا مع القريب أي مع الإنسان الآخر الذي نواجهه في حياتنا.

أعطانا الرب يسوع وصية عظيمة فيها شرف كبير لنا نحن البشر الخاطئين والفانين بأن نتشبَّه بالآب السماوي الذي أصبحنا أبناءَه بالتبني من خلال تجسّد الرب يسوع، طالبا منا أن نشابهه بالرحمة. لم يقل لنا كونوا صارمين كما ان أباكم السماوي هو صارم، أو كونوا عادلين كما ان أباكم السماوي عادل أو صفات أخرى من صفات الله بل طلب منا الكمال (مت ٥: ٤٨) والرحمة. إذاً لا يمكننا أن نتشبَّه بالله إن لم نكن رحماء. ان ايليا النبي لم يجد الله لا في الريح العاصفة ولا في الزلزلة ولا في النار بل في النسيم اللطيف. مَن أراد أن يعرف الله وأن يتشبّه به عليه أن يتعلَّم كيف يكون رحيماً.

مرات كثيرة عندما نتأمل في حياتنا نجد أننا لسنا رحماء مع الآخرين لا بل تسيطر علينا مواقف أخرى غير الرحمة والرأفة ونغدو بسهولة قساة معتبرين القسوة على الآخرين واجباً مسيحياً. إن لم يكن المرء رحيماً لا يسيء فقط إلى نفسه إذ لم يتشبّه بالله، بل يعطي صورة للآخرين عن الله وعن الكنيسة بأنهما قساة ولا يرأفان بالناس، مما يشوّه صورتهما لدى الآخرين. في سر الشكر لا يظهر إلهنا بصورة القاضي والديّان بل كإله، ضابط الكل، يقدّم نفسه من أجلنا ومن أجل الكنيسة ويعطينا الشجاعة لنتجاسر ونسأله ونطلب منه من خلال رأفته ورحمته التي لا تحد. إن كان الله سيديننا مثلما ندين نحن الآخرين فلا أحد يستطيع أن يخلص كما يقول داود النبي: «إن كنت للآثام راصداً يا رب، فيا رب مَن يَثبت» (مز ١٣٠: ٣). عدالة الله لا تشبه عدالة البشر التي تطلب الموت للقاتل والسجن للسارق والعقاب للمذنب، أما الله فيعلّمنا خلاف ذلك أن نحب أعداءنا وأن نبارك لاعنينا وأن ندير خدنا الأيسر لمن ضربنا على خدنا الأيمن. تالياً

العدد ٢٠٠٩/٤٠

الأحد ٤ تشرين الأول

تذكار أبينا الجليل في القديسين

إيروثيوس أسقف أثينا

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر السادس

يحبُّونهم* وإذا أحسنتم إلى الذين يُحسنون إليكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً هكذا يصنعون* وإن أقْرَضْتُمُ الذينَ تَرْجونَ أن تستَوفوا منهم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُقرِضونَ الخطأة لكي يستوفوا منهم المِثْلَ* ولكن أحِبُّوا أعداءَكم وأحسِنوا وأقرِضوا غيرَ مؤمِّلين شيئاً فيكونَ أجرُكم كثيراً وتكونوا بني العليّ. فإنَّه مُنعِمٌ على غيرِ الشاكرينَ والأشرارِ* فكونوا رُحماءَ كما أنَّ أباكم هو رحيمٌ.

تأمل

إنّ كلّ مَن لديه محبّة حقيقية يستمرّ في محبّة قريبه ولو كرهه هو أو شتمه أو هدّده، مع قناعته بأنّه يحبّ من أجل المسيح ويقتدي به أيضاً، وهو الذي أظهر مثل هذه المحبّة لأعدائه؛ إنّه لم يضحِّ بنفسه فقط من أجل أولئك الذين كرهوه وصلبوه، لكنه كان يرجو من أبيه أن يسامحهم قائلاً: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤).

التشبّه بالله يقتضي منا تعلّم الرحمة الإلهية متربين تربية روحية في الكنيسة، أما غياب الرحمة فهو دليل خلل ما في حياتنا الروحية.

ليست الرحمة والرأفة مجرّد مشاعر أبديها تجاه الآخرين بل تتطلَّب مني أفعالاً كالصلاة لأجل الآخر ومساعدته قدر استطاعتي واحتمالي لما قد يصدر عنه وعدم الحكم عليه وإدانته. الإنسان الرحيم لا يرأف فقط بأخيه الإنسان بل يوجّه رأفته نحو الخليقة أيضاً فلا يسيء إلى الطبيعة أو إلى الحيوانات بل يعتني بها كونها من صنع الله الذي سلّطه عليها: «وبارَكَهُم اللهُ وقال لهم أثْمِروا واكثُروا واملأوا الأرضَ وأخْضِعوها وتسلَّطوا على سَمَكِ البَحرِ وعلى طَيْرِ السَّماءِ وعلى كُلِّ حَيَوانٍ يَدِبُّ على الأرض» (تك ١: ٢٨). هذه الرأفة بالحيوانات لا تعني ولا تبرّر ما يحصل في أيامنا هذه إذ نرى بعض الشباب والشابات يفضلون أن يمضوا أوقاتهم مع الكلاب والهررة عوض أن يبنوا صداقات مع الناس، وهناك مَن يعزِّز حيوانه الأليف ويكرّمه فيطعمه أغلى الأطعمة ويلبسه أغلى الألبسة ولا يفطن لأخيه الذي لا يجد ما يأكل أو ما يلبس. يروي الشيخ باييسيوس الآثوسي حادثة مفادها انه شاهد في إحدى الحدائق العامة شخصاً جالساً مع كلب وكان يأكل لوحاً من الشوكولا مع كلبه، بالقرب منه وُجد طفلٌ كان يحدق إليه باستمرار ولم يعطه قطعة واحدة من الشوكولا.

يتوجب على الذي يريد أن يصبح رحيماً مثل الله أن يتربى تربية روحية في الكنيسة وأن يتعلم بشكل أساسي التواضع. ان الإنسان المتواضع يتعلَّم أن ينظر إلى خطاياه هو وأن يصلح نفسه قبل الآخرين. عندما نرى شخصاً لديه مشاكل مع الآخرين، السبب لا يكون فقط في الآخرين بل الخلل موجود بالتأكيد لدى هذا الشخص. إن كنت في حالة خلاف مع زوجتك أو أبيك أو أمك أو أي شخص آخر ولا تستطيع أن تتحمله أكثر أو أن تبقى معه، لا تبحث عن السبب لدى الآخر بل في داخلك أنت. قد يكون الآخر مزعجاً أو مسيئاً لك ولكن إن كنت أنت تختزن المحبَّة داخلك والرحمة نحو الآخر عندها تستطيع أن تصبر عليه وأن تتفهمه. حتى لو اضطررت أن تقطع علاقتك به كونك وصلت إلى حائط مسدود معه يجب أن يكون انفصالك عنه بمحبَّة ولطف، وأن تعترف بمسؤوليتك لأنك لو كنت بالفعل كاملاً ورجل الله لكنت صبرت على الآخر ووجدت طريقة لمقاربة المشكلة بينكما وحلّها. عندما يعي الإنسان بالتواضع أخطاءه وأهواءه ويراها دائماً أمامه كما يقول داود النبي في مزمور التوبة: «لأنّي أنا عارفٌ بإثمي وخطيئتي أمامي في كل حين» (مز ٥٠:٣) ويحاول معالجتها لا تبريرها، يصبح وديعاً جداً في مقاربته لضعفات الآخرين وشوائبهم لأنه يتذكّر خطاياه الشخصية. قصد شاب أباه الروحي ليخبره عن مشكلته إذ كل أفراد عائلته ينفعلون بسرعة ويصرخون، فسأله الكاهن ماذا يفعل هو في هذه الحالة فأجابه أنه يصرخ أيضاً. عندها طلب منه أبوه الروحي أن يبدأ بإصلاح نفسه. ففي حال أتاه أخاه صارخاً عليه ألا يجيبه بالمثل فتنخفض نسبة الصراخ خمسين في المئة، وأن يعمل كذلك

كذلك المحبّة لا تعرف المصلحة الخاصة، لذلك ينصحنا الرسول بولس: «لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل ما هو للآخر» (١ كو ١٠: ٢٤). المحبّة أيضاً لا تعرف الغيرة، لأنّ كلّ مَن يحبّ بحقّ يعتبر الخير لقريبه كأنه له؛ هكذا المحبّة تحوّل الإنسان شيئاً فشيئاً إلى ملاك لأنها تحرّره من الغضب والحسد وكلّ هوى طاغٍ آخر، تُخرجه من الحالة الطبيعية الإنسانية وتُدخله إلى حالة اللاهوى الملائكية.

لكن كيف تتولّد المحبّة في نفس الإنسان؟ المحبة هي ثمرة الفضيلة، وهي بدورها تولّد الفضيلة؛ كيف يحدث هذا؟ الإنسان الفاضل لا يفضّل الأموال على محبّة قريبه، لا يحفظ الإساءة، ويكون غير ظالمٍ ولا بذيء اللسان، يحتمل كلّ شيء بشجاعةٍ نفسية، فمن كلّ هذه تأتي المحبة. في أنّ المحبة تتولّد من الفضيلة فإنّ أقوال الرب تعبّر عن ذلك: «ولكثرة الإثم تبرد محبّة الكثيرين» (مت ٢٤: ١٢). أما عن أنّ الفضيلة تولد مع أمه وأبيه فيقل التوتر في المنزل بشكل عام.

يُحكى عن شيخ قديس كان يرأس مجموعة رهبان في البرية يتهمون واحداً منهم انه يُقيم علاقة غير شرعية مع امرأة. في يوم من الأيام شاهدوا المرأة ذاهبة إلى قلاية الراهب فدعوا رئيس الدير وأخبروه بالأمر وطلبوا منه مرافقتهم ليفضحوا الأمر وينال الراهب عقابه. وفيما هم متوجهون إلى القلاية رآهم الراهب المذنب من نافذته فخاف جداً وخبّأ المرأة في صندوق كبير. ما إن وصلوا إلى القلاية علم الشيخ برؤيته المسبقة مكان المرأة فجلس فوق الصندوق مدعياً أنه متعب ويريد أن يستريح وطلب من الرهبان الآخرين تفتيش القلاية فلم يجدوا شيئاً، إذاك طلب منهم المغادرة. حين أصبح وحده مع الراهب طلب منه أن ينتبه لخلاص نفسه وألا يخطئ فيما بعد، فتاب الراهب من ذلك الحين وأصبح مجاهداً كبيراً. هكذا أثمرت رحمة الشيخ العظيمة خلاص الراهب الخاطئ.

ختاماً، فليع المسيحي المؤمن أنه إن كان رحيماً فالله سيرحمه لأنه هو قال: «بالكيل الذي به تَكيلون يُكالُ لكم» (متى ٧: ٢)، وهو علّمنا أن نطلب المغفرة كما نغفر نحن للآخرين: «واغْفِرْ لنا ذُنوبَنا كما نَغْفِرُ نحنُ أيضاً للمُذنِبينَ إلينا» (متى ٦: ١٢).

النميمة والثرثرة

«يا ربُّ افتَحْ شَفَتَيَّ فيُخبِرَ فَمي بِتَسبِحَتِكَ» (مز ٥١: ١٥). إنّ الشفتين هما مرآة لموجودات القلب، فلو كان الله ساكناً في القلوب لكانت كلّ الكلمات البشريّة تسبّح وتمجّد الخالق. لكنّ الله أعطانا حريّة الإختيار، لذلك نجد قلوباً مليئةً بالأفكار الشريرة، وهذه الأفكار تُترجم أقوالاً وأفعالاً، ومن أهمّها النميمة.

لا يرى الكتاب المقدّس في الكلمة البشريّة مجرّد دويّ عقيم أو مجرّد وسيلة للإتصال بين البشر. الكلمة تعبّر عن شخصيّة المتكلّم وتشترك في ديناميّته. فهي مزوّدة نوعاً ما بقوّة فعّالة وهذا ما يعطيها أهميّتها في مسالك الحياة، ووفقاً لنوعيّتها تجلب للناطق بها كرامةً أو هواناً (سيراخ ٥: ١٣)، موتاً أو حياةً (أمثال ١٨: ٢١).

يشجب العهد القديم الثرثار (أمثال ١٠: ١٩، ٢٩: ٢٠) الذي ينزلق في الحماقة (أمثال ١٠: ٨، ١٣: ٣) وعدم الفطنة (أمثال ٢٠: ١٩)، ولكن هناك ما هو أسوأ أي كلام المنافقين الذي يُعتَبَر كميناً للدم (أمثال ١٢: ٦)، أمّا الحكيم فيتجنّب النميمة (سيراخ ٥: ١٤)، فإنّ ضحايا اللسان أكثر من ضحايا السيف (أمثال ١٢: ١٨، سيراخ ٢٨: ١٧). وكثيراً ما تُقبَل كلمات النمّامين كلُقَمٍ حلوة (أمثال ٢٦: ٢٢) مع أنها تجرح بقسوة.

أمّا في العهد الجديد فتردّد رسالة يعقوب الرسول هذه النصائح عينها بشأن زلّات الكلام (يع ٣: ٢-١٢). إنّ حفظ اللسان يُعدّ مطلباً أساسياً من مطالب الحكمة المسيحيّة (يع ١: ٢٦، ٣:٢).

على عكس النمّامين والكثيري الكلام، يجب على الحكماء أن يتقنوا ضبط كلامهم، فإنّ الكلام المنطوق به في أوانه هو كنز ثمين ومجلبة للسرور (أمثال ١٥، ١٣، ٢٥: ١١). يجب على العاقل أن يكتم كلامه إلى حين (سيراخ ١: ٣٠) وأن يجعل لكلامه ميزاناً ومعياراً، وأن يضع

من المحبة، فنجدها في أقوال بولس: «لأنّ مَن أحبَّ غيره فقد أكمل الناموس» (رو ١٣: ٨). إذاً، تلزم واحدة من الإثنتين: إما المحبة وإما الفضيلة. فمَن لديه الأولى، لا بدّ من أن تكون لديه الأخرى، وعلى العكس مَن لا يحبّ سيفعل الشرّ أيضاً، وكلّ مَن يفعل الشرّ لا يحبّ. فلنحاول اكتساب المحبّة لأنها حصن يحمينا من كلّ شرّ.

لم يقُل الرسول «أحبوا» فقط بل «اتْبَعوا المحبة» (١ كو ١٤: ١)، لأنه يلزمنا جهاد كبير لكي نكتسبها. المحبّة تركض بسرعة وتختفي، لأنّ أموراً كثيرة في هذا العالم تدمّرها، فلنتبعها ونركض وراءها بشكل مستمر لكي ندركها قبل أنْ تفلت منا.

يجب أن نعرف أنّ المحبّة ليست أمراً إرادياً بل هي واجب؛ يجب أن تحبّ أخاك لأنه لديك قرابة روحية معه ولأن الواحد منكما هو عضو للآخر، وإن غابت المحبة يأتي الدمار.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لفمه باباً ومزلاجاً (سيراخ ٢٨: ٢٩، مزمور ٣٩: ٢، ٣:١٤١)، وأن يكون غير متسرّع في الكلام (يع ١: ١٩). يجب أن يتّصف الكلام بالحكمة والرأفة كما تفعل المرأة الفاضلة (أمثال ٣١: ٢٦)، حينئذٍ تصير الكلمة البشريّة بمثابة مياه عميقة وينبوع للحكمة وكسيل جارف ونهر فائض (أمثال ١٨: ٤)، لأنّ الفم ينطق من فيض القلب حيث أنّ «الإنسانُ الصالِحُ مِن كَنْزِ قلبِهِ الصالِحِ يُخرِجُ الصلاحَ، والإنسانُ الشرّيرُ مِن كَنْزِ قلبِهِ الشرّيرِ يُخرِجُ الشَّرَّ» (لو ٦: ٤٥).

يشرح لنا الكتاب المقدّس الفرق بين الكلمة الصالحة والكلمة الشريرة، كما يرينا الفرق بين الحكيم الذي يعرف كيف يستخدم فمه وبين الخاطئ والأحمق والنمّام الذي يسيء استخدام شفتيه. وللأسف الشديد، فإنّ كثيرين منّا لا يتمعنون في قراءة الكتاب المقدّس فيسيرون حسب ناموسهم الخاص وحسب أفكار قلوبهم، ويستخدمون ألسنتهم لخيرهم الخاص فقط وليس لبناء الآخر أو الجماعة، الأمر الذي يجعل من كنيستنا مجموعة أفراد وليس مجموعة متماسكة يساعد الواحد فيها الآخر. نرى الكثيرين يفرحون متى سقط أخٌ لهم في زلّة بقصد أو من دونه، وبدلاً من لفت نظره في الخفية يلجأون إلى الكلام عليه هنا وهناك مستفيدين من سقطته لكي يرتفعوا هم في أعين الناس. فأين المسيحية في ذلك؟ المحبّة المسيحية لا تطلب ما لنفسها (١ كو ١٣: ٥) إنّما تطلب ما هو لخير الكنيسة كلّها.

النميمة بعيدة كلّ البعد عن مفهوم الرحمة التي يوصينا بها الربّ قائلاً: «كونوا رُحَماء كما أنّ أباكُم أيضاً رحيمٌ» (لو ٦: ٣٦). فإذا كان الله نفسه يرحم الذين يسقطون في الزلّات، فكم بالحري علينا أن نرحم إخوتنا نحن الذين نسقط أكثر منهم في المعصية؟! كيف نعطي لأنفسنا حقّ الدينونة نحن المخلوقين، بينما الخالق يرحم ويقبل الضالّ؟ النميمة إذاً نوع من أنواع القتل غير المباشر، هي قتل معنوي وروحي واجتماعي، هي دينونة عبد لعبد، مخلوق لمخلوق، دينونة فرّيسي لعشار، حيث يتبرّر العشّار ويُرذل الفرّيسي الذي يعتقد أنه «البار».

الدعوة في النهاية هي إلى أن نحب بعضنا بعضاً، وأن نرحم بعضنا بعضاً كما يرحمنا الله الآب، وأن نلجم ألسنتنا، جاعلين وظيفة اللسان التسبيح وشكر الله على عطاياه والاعتراف بخطايانا قبل النميمة على الآخرين، لأنّ النميمة هي من مظاهر الكبرياء، وعاقبة الكبرياء الهاوية.

مدرسة التنشئة اللاهوتية

يعلن مكتب التربية المسيحية في المطرانية عن استمرار التسجيل للدورة الجديدة ٢٠٠٩–٢٠١٠ في مدرسة التنشئة اللاهوتية. افتتاح السنة الدراسية سيكون بصلاة الغروب التي ستُقام عند السادسة من مساء الإثنين ٥ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb